

حسن التعليل مرحلة اولى مسائي شغبية ب أ.د.سعد التميمي

حسن التعليل: أن يتلمس الأديب للشيء أو للظاهرة علةً أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه بدلا من علة أو علتها الحقيقية، مثل قول ابن الرومي
أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن
فالعلة الأدبية التي تلمسها ابن الرومي لاصفرار الشمس عند الغروب الخوف من فراق وجه الممدوح لا السبب المعروف من دوران الأرض حول محورها والطريف في حسن التعليل أن المبدع ينكر صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة ليأتي بعلة تناسب الغرض الذي يرمي إليه، وأكثر ما يكون تعليله صادما لأنه يخالف المألوف ويأتي بالجديد الذي لا يوافق العرف العام ولكنه لا يرفض لطرافته ودقة نظر صاحبه

أقسامه: ذهب الخطيب القزويني إلى أنه أربعة أقسام، لأن الوصف إما ثابت قصد به بيان علة، أو غير ثابت أريد إثباته، والأول إما أن لا يظهر له في العادة علة، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثاني إما ممكن، أو غير ممكن.

1-القسم الاول: وصف ثابت غير ظاهر العلة، مثاله قول المتنبي

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيها الرّحضاء

فنزول المطر لا يظهر له في العادة علة، ومنه أيضا قول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

المكان يصيب لا فالسيل عادة؛ العلة ظاهر غير بتشبيه الكريم الغنى إصابة عدم تمام أبو عطل العالي، كالمكان القدر عالي الكريم أن في يكمن الشبه ووجه الكريم، يصيب لا والغنى العالي، يحبس لا كما مياها يحبس فلا القمم من الجارف كالسيل يتدفق إليه الناس لحاجة والغنى مالا الغني

وإذا فتشنا عن علة خلوّ الكريم من المال ما وجدنا علة ظاهرة لذلك في البيت، وكذلك لا نجد علة ظاهرة لعدم احتفاظ المرتفعات بمياهها ومن طريف الأمثلة على هذا الضرب قول أبي هلال العسكري:

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنا فسئوا من قفاه لسانه

إن خروج ورقة البنفسج إلى الخلف وصف ثابت في زهرة البنفسج، وهذا الخروج لا علة له لأنه هكذا خلق منذ عرف البنفسج، لكن الشاعر التمس له عذرا طريفا هو الافتراء على المحبوب

2-القسم الثاني: وصف ثابت ظاهر العلة مثاله قول المتنبي

ما به قتل أعدائه، ولكن ... يتقي إخلاف ما ترجو

الذئاب

تعكير وعدم الجوّ صفاء بنشدانهم لأعدائهم والسلاطين الملوك قتل يعلّوا أن الناس اعتاد متوقع وغير آخر غريب بتعليل فاجأهم الشاعر ذلك، ولكن يشبه ما أو التمرّد أو بالثورة الأمن تحت المتساقطة القتلى جثث أكل ترتقب التي الذئاب على والسلطان الملك خوف في تمثّل شديد فهو لذلك رجاءها يخيب أن السلطان أو الملك ويخاف طعامها، لها فيوفر الملك ضربات لا التي للكواسر طعام توفير في رغبة لكن ملكه على منهم خوفا أو بهم كرها لا بالأعداء الفتك سلاحا للعدو جرّد كلّما غذائها توفير على عودها التي وهي صدمة أو بخيبة إصابتها يريد ومنه قول أحدهم

أتنتي توتّيني بالبكا فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين تراني بها؟
إذا استحسننت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

تسكب العين دمعها عادة من حزن يسببه إعراض الحبيب وهجرانه، وفقدان عزيز وما إلى ذلك من أسباب الاكتئاب، لكن الشاعر ابتكر علّة طريفة غير متوقّعة لتَهْطَل الدمع تمثّلت في إرادة تأديب عينه لأنّها استحسننت رؤية غير الحبيب فكان الدمع قصاصا لها. وفي هذا التعليل خيال لافت وذكاء خارق ومخالفة للمألوف يجنح إليه الفن وينفرد به الفنّان الأصيل الذي يسعى للخروج على المماثلة والمشاكلية ويجنح للفرادة والتميّز وصف غير ثابت: وهذا الوصف يجوز أن يكون ممكنا كما يجوز ان يكون غير ممكن

3- الوصف غير الثابت الممكن، ومثاله، قول مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجّى حذارك إنساني من الغرق

خالف الشاعر المألوف في معنى ذهب إليه وهو حسن إساءة الواشي وأن يستحسن المرء وشاية الواشي أمر ممكن، ولكنّه خالف الناس في استحسانه هذا فاضطر إلى تبرير إن حذار الواشي منعه من البكاء لكي لا يشمت به وإلا فإن البكاء كان قد :الاستحسان قائلا أغرق إنسان عينه بالدمع

4- وصف غير ثابت وغير ممكن كقول القزويني

لو لم تكن نيّة الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق

ذهب الشاعر إلى أن الجوزاء تريد خدمة الممدوح، وهذه صفة غير ثابتة وغير ممكنة أيضا لا بل هي ممتنعة، ولكنّه علّلها بعلة طريفة ادعاها خيال مقبول عند ما تخيل النجوم تحيط بالجوزاء فتشكّل حولها

نطاقا شبيها بالخدم المحيطين بالمدوح متحفزين لتلبية طلبه وهم رهن إشارته. فالتعليل
مبني على قوة تخييل

تدريب : إشرح الأبيات الآتية، ميّنا حسن التعليل فيها وأقسامه:

- ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله طربا
أرى بدر السماء يلوح حيناً ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك لأنه لما تبدى وأبصر وجهك استحيا وغابا
- استشعر الكتاب فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الأيام
فلذاك سؤدت الدويّ كآبة أسفا عليك وشقت الأقلام
- سبقت إليك من الحقائق وردة وأنتك قبل أوانها تطفيلاً
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت فمها إليك كطالب تقبيلاً